مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 11 / العدد: 01 (2023)، ص: 193-202

العنوان باللغة العربية الاستعمار الغربي للعالم الاسلامي وتأثيره على صورة الإسلام والمسلمين

Title in English Western colonization of the Islamic world and its impact on the image of Islam and Muslims

الاسم الكامل للباحث الأول [1]، مصطفى بطراوي

[1] مؤسسة الانتماء (البلد)، جامعة البليدة2 الإيميل المهني للباحث الأول

betraouimus@gmail.com

تاريخ الاستلام:2022/10/19 تاريخ القبول: 2023/02/13 تاريخ النشر: 2023/03/05

ملخص:

اردت من خلال هذه المداخلة العلمية معالجة موضوع صورة العرب والمسلمين لدى الغرب والتي تتعرض اليوم للتشويه، هذه الصورة التي نسجتها المخيلة الغربية كانت نتيجة تراكم تاريخي في سياق مواجهة حضارية، اختلط فيها السياسي بالديني، وصراع حول السيادة والنفوذ.

ويدفعنا هذا الموضوع الى طرح الكثير من التساؤلات حول حجم هذا التشويه، وآليات حدوثه، فقد تجاوز الأمر حدود الصورة، لينتقل الى التأثير على وجودنا في هذا العالم. وعلى ضوء ذلك نطرح الإشكالية التالية: إلى أي حد شكل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي منبعا خصبا لصياغة هذه الصور وبلورتها؟

إذا أردنا أن نعرف سبب هذا التصور السلبي عن الإسلام لدى الغرب اليوم، علينا أن نبحث في القرون السابقة وما رسخته من مواقف تجاه الإسلام والمسلمين، فالصور الراهنة للإسلام هي نتاج تراكمات ثقافية وحضارية، تكونت عبر قرون، أنتج الغرب خلالها قاموسا كاملا من الصور السلبية.

لقد شكل الاستعمار الغربي للدول الإسلامية مرحلة حاسمة في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ومحددًا حاسم لطبيعة هذه العلاقات، ومنبعًا خصبًا لصياغة صور نمطية عن الآخر الشرقي، وفي إطار استجلاء وتفسير الخلفيات التاريخية والمعرفية الغربية المتصلة بالسياقات الثقافية والسياسية، التي شكلت وعي وموقف الغرب تجاه الآخر، وانعكست على صورة الشرق والإسلام ، ، فمنذ عصر النهضة هيمنت الفلسفات العلمانية المادية على العقل الغربي، ،و لم تعد هناك غايات مطلقة للوجود الإنساني، فالخير هو مصلحة الدولة الكبرى وما يقتضيه ذلك من أساليب وسياسات متبعة تجاه العالم الإسلام الإسلامي على الخصوص.

كلمات مفتاحية: الإسلام، صورة المسلمين، الغرب، الاستعمار، الحضارة

Abstract:

Through this scientific intervention, I wanted to address the issue of the image of Arabs and Muslims in the West, which is subject to distortion today. This image that the Western imagination has instilled was the result of a historical accumulation in the context of a civilized confrontation, in which the political mixed with the religious, and a struggle over sovereignty and influence.

This topic prompts us to raise many questions about the extent of this distortion, and the mechanisms of its occurrence, as the matter has gone beyond the limits of the picture, to move on to affecting our existence in this world. In light of this, we raise the following problem : To what extent did Western colonization of the Islamic world form a fertile source for the formulation and crystallization of these images ?

If we want to know the reason for this negative perception of Islam in the West today, we must look at the previous centuries and the established attitudes towards Islam and Muslims. The current images of Islam are the product of cultural and civilizational

accumulations formed over centuries, during which the West produced a complete dictionary of stereotypes.

Western colonialism of Islamic countries constituted a decisive stage in the history of relations between East and West, a decisive determinant of the nature of these relations, and a fertile source for the formulation of stereotyped images of the Eastern Other, and within the framework of elucidating and interpreting Western historical and cognitive backgrounds related to cultural and political contexts, which shaped the awareness and attitude of the West towards the other. And it was reflected on the image of the East and Islam. Since the Renaissance, materialistic secular philosophies have dominated the Western mind, and there are no longer absolute goals for human existence. Good is the great interest of the state and the methods and policies adopted towards the Islamic world in particular?

Keywords: Islam, the image of Muslims, the West**,** colonialism, civilization.

***المؤلف المرسل:** الاسم واللقب

1. مقدمة يعتبر موضوع صورة الإسلام والمسلمين في الغرب من الموضوعات التي تثير الكثير من التساؤلات حول مدى التشويه الذي لحق بهذه الصورة، وآليات حدوثه ومسؤوليتنا تجاه تفاقمه، فقد تجاوز الأمر حدود الصورة، لينتقل الى التأثير سلبا على وجودنا في هذا العالم.

إذا أردنا أن نعرف سبب هذا التصور السلبي عن الإسلام لدى الغرب اليوم، علينا أن نبحث في المواقف السابقة التي ترسخت عبر القرون السابقة تجاه الإسلام والمسلمين، والتي لا زالت في أعماق الغربيين، تظهر في المناسبات بوعي أو بغير وعي،

فالصور الراهنة للإسلام هي نتاج تراكمات ثقافية وحضارية، تكونت عبر قرون، أنتج الغرب خلالها قاموسًا كاملاً من الصور النمطية.

فإلى أي حد شكل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي منبعًا خصبًا لصياغة هذه الصور والترويج لها؟

إن دراسة مرجعيات هذه الصور هي بحث في الخلفيات التي تستند عليها، وهي كذلك بحث في المحركات التي تأسست عليها، والمنطلقات القبلية التي سمحت لها بالظهور في ثقافة معينة، وفي حقبة تاريخية معينة.وقد قسمت هذه الورقة البحثية الى مجموعة محاور اشتملت على المقدمة اربعة عناصر وخاتمة.

يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث ووضع الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

1-الخلفية التاريخية للعلاقات بين الشرق والغرب:

شكل الاستعمار الغربي للدول الإسلامية مرحلة حاسمة في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، وكان محددًا حاسم لطبيعة هذه العلاقات، ومنبعًا خصبًا لصياغة صور نمطية عن الآخر الشرقي، وفي إطار استجلاء وتفسير الخلفيات التاريخية والمعرفية الغربية المتصلة بالسياقات الثقافية والسياسية، التي شكلت وعي وموقف الغرب تجاه الآخر، وانعكست على صورة الشرق والإسلام لدى الغرب، يرى عبدالوهاب المسيري أن الرؤية المعرفية الغربية ذات طبيعة إمبريالية كامنة في نظرتها للإنسان والطبيعة والمقدس، هذه الرؤية الإمبريالية ظهرت نتيجة لمجموعة من العوامل التاريخية والفكرية، فمنذ عصر النهضة هيمنت الفلسفات العلمانية المادية على العقل الغربي، فأعلن الإنسان الغربي موت الإله أو تنحيته عن عمليات المعرفة والأخلاق، ترسخ ذلك مع هيمنة الفلسفات العقلية النفعية في القرن الثامن عشر،

ومع علمنة الفكر السياسي الغربي، لم تعد هناك غايات مطلقة للوجود الإنساني، فالخير هو مصلحة الدولة العليا وخدمتها هي هدف الوجود الجماعي .(عبد الوهاب المسيري ،2002 .ص308)

وقد عمق الاقتصاد الرأسمالي فكرة أن توسيع الإنتاج هو الخير المطلق، فأصبحت جزءًا من التصور الأوروبي النهم عن الطبيعة البشرية، كما ظهرت عقيدة التقدم اللانهائي الصادرة عن اعتقاد بلا نهائية مصادر الطبيعة وقدرة الإنسان على السيطرة عليها وتسخيرها.

أدت هذه العوامل إلى ظهور رؤية معرفية إمبريالية تنطلق من تصور مادي للطبيعة والإنسان، وتتجه نحو السيطرة على العالم، وإخضاعه للإنسان الغربي بصفته مركزًا للكون. وقد أفرزت هذه الإمبريالية حسب المسيري" رؤية عنصرية قامت بتصنيف البشر على أساس صفات مادية كامنة فيهم: حجم الجمجمة، لون الجلد، شكل الشعر... إلخ، وأكدت التفاوت بين الشعوب، ونظرت إلى الشعوب غير الغربية وأراضيها ومواردها بصفتها مادة استعمالية، يمكن للسوبرمان الغربي أن يوظفها لحسابه، بوصفه أقوى الشعوب وأكثرها رقيًّا. (المسيري 2000.ص140) ومع زيادة حركة الاستعمار الغربي في أنحاء العالم، صيغت نظريات التبرير للحركة الاستعمارية وتغطية استمرارها، (غريغوار منصور مرشو،1996.) فظهر ما يسمى بالنظرية البيولوجية السياسية ومضمونها أن للدول الكبرى الحق في التهام الدول الصغرى، وهو ما أكده أرنست رينان عندما أعلن: "أن الأوروبي خلق للقيادة كما خلق الصيني للعمل في ورشة العبيد، وكل ميسر لما خلق له". ويكتب انطوان مون كريتيان الملقب برائد الاقتصاد السياسي في نهاية عصر النهضة الأوروبية: "إن الإنسان ولد ليعيش للعمل المستمر والاحتلال"، وبدات هذه الإسقاطات الخيالية تنتشر خلال القرن الثامن عشر، وتتنقل من إطارها التاريخي إلى خطاب كوني تبناه العديد من مفكري الغرب ومنظريه، حتى صار تقسيم العمل بين الغرب والشرق

أمرا طبيعيّا."بموجب هذا التقسيم العالمي للعمل، صار نظام الآخر الغربي يتأسس على قاعدة تنصيب نفسه كحامل لرسالة حضارية لشعوب مصنفة بالمتوحشة والكسولة، أي العاجزة عن الإنتاج واستغلال الثروات الطبيعية، المسار الذي أثار، ولا يزال يثير، شهية التوسع والهيمنة عند الغزاة."(غريغوار منصور مرشو ،2001.ص22).

2- السياسة الاستعمارية الممارسة :

لم تتردد العلوم الإنسانية في توظيف أسطورة الإنسان المتوحش بما يخدم مصالح دولها، وقد كان الغرض من تكريس صفة الوحشية على إنسان ما وراء البحار بمثابة تأسيس لخطاب علمي يتم من خلاله تبرير المركزية العرقية الأوروبية، ويخدم توسعاتها وأطماعها الإمبريالية، "لقد ترسخت هذه المفاهيم الغريبة في الأذهان إلى حد بات الاستعمار يعد عملاً إنسانيًّا يسوغ غزو الشعوب المسماة بالمتوحشة."(غريغوار، 1996.ص84)

إن التأكيد على الهمجية كان أمرا مهما عند المؤسسات الاستعمارية، ففي أمريكا تم تصوير الهندي قاتلاً للأطفال، وخاطفًا للنساء، وجامعا للرؤوس البشرية، وذلك من أجل تبرير وحشية الرجل الأبيض ضد هذا الهندي، ومن هنا كتب ثيودور روزفلت سنة 1896 م "كان المستعمرون والرواد الأوائل يشعرون في أعماقهم أن الحق هو إلى جانبهم، وأن هذه القارة العظيمة لا يمكن أن تترك لعبث الهنود المتوحشين."((Theodore Roosevelt.1896.p9061

وقد كانت الحكومة الأمريكية . حتى منتصف القرن التاسع عشر. تدفع مبلغًا من المال لمن يأتي بفروة رأس هندي، "وخلال ثلاثة قرون من الزمن، استمرت التجارة في العبيد السود عبر الأطلنطي، جنبًا إلى جنب مع نمو الحضارة الأوروبية الأمريكية، وكجزء لا يتجزأ من هذه الحضارة. ولم تنته هذه التجارة قبل سنة 1865م، وقدر عدد الذين وقعوا في الأسر فريسة للصيد البشري (بالمعنى الحرفي

لهذه الكلمة) خلال هذه الحقبة بين 13 إلى 15 مليون إنسان حر (علمًا بأن العدد الحقيقي لن يعرف أبدًا)."(علي عزت بيغوفيتش.1994.ص223).

يحاول" برتراند راسل" تفسير مثل هذه الجرائم الإنسانية بقوله: "ففي الطبيعة البشرية ميل نحو الانفعالات الوحشية، بلغ حدًّا جعل أولئك الذين يعارضونه معرضين دائمًا تقريبًا للحقد، كما أدى إلى ابتكار أنظمة أخلاقية ودينية كاملة، تجعل الناس يحسون أن الوحشية شيء نبيل. إن الانفعالات المدمرة لم تجلب على البشرية سعادة حقيقية، فأولئك الذين كانوا يملكون العبيد، عاشوا في رعب من ثورات العبيد (..) والشعوب المسلحة المتخاصمة تعيش في ظل الخوف من الهزيمة في الحرب."(برتراند راسل.ب.ت.ص139)

ومن أجل التغطية على مثل هذه الجرائم البشعة، وبهدف إضفاء الشرعية على عملية الاستعمار، يرى جوكينشلو في كتابه "التربية الخاطئة للغرب" أن هذه التبريرات التاريخية والأخلاقية، كانت مطلوبة لفرض الثقافة الأوروبية، كونها النموذج المهيمن الواجب اتباعه. وهكذا ابتكرت الأسطورة الهدامة "تمدين غير المتمدنين."(جوكينشلو وشتاينبورغ.2005.ص258)

لقد قامت الفوارق الثقافية بين المجموعات على فوارق بيولوجية تعكس الفوقية والدونية، وقد شكلت الانتصارات العسكرية، التي حققها الغرب أساسًا للشعور بالتميز لدى الغربيين، واعتقادهم بأنهم العرق الأسمى بين سائر الأعراق، "كما ساهم النهب الاستعماري في زيادة ثقة الإنسان الغربي في نفسه، وفي رؤيته لنفسه، لا كإنسان، وإنما كإرادة قوة لغزو العالم ونهبه وإخضاعه والتحكم فيه.» (عبد الوهاب المسيري 2002.ص210).

3 –التنظير الفكري للفعل الاستعماري:

انكبت العلوم الإنسانية على دراسة المجتمعات المستعمرة لإعانة الإدارة الاستعمارية على السيطرة على المستعمر، فـ"رينيه موني" صاحب المشروع الكبير لعلم الاجتماع الجزائري مثلا يقول: "إن لنا مصلحة نظرية وتطبيقية لنتعرف على حياة الشعوب الجزائرية، نظرية أولاً، لأنه من حقنا ومن واجبنا نحن الفرنسيين أن نعرف ونفهم جميع الشعوب، التي نحميها وندير شؤونها، ولا نتوقف أبدًا عن القيام بالواجب نحوها، ولما في تنظيم هذه الدراسات من غايات مادية تطبيقية، باعتبار أن العلم مصدر للنفوذ والحكم."(عبد الوهاب بوحديبة ، 1985.ص145)

كما يعد عالم الاجتماع" مارتان" أن علم الاجتماع الشمال الإفريقي، له وظيفة أساسية في تقديم المشورة للاستعمار الفرنسي، عبر دراسة الأطر التربوية، والحركات الاجتماعية، وخصائص الشخصية المحلية، من أجل التحكم في المنطقة وإنجاح المشروع الاستعماري. (محمد نجيب بوطالب، 1999.ص438)

ويوضح إدوارد سعيد ذلك بقوله: "ارتبطت الأطروحات حول التخلف والانحطاط الشرقيين، والتفاوت بين الشرق والغرب في أوائل القرن التاسع عشر بالأفكار السائدة حول الأسس الحيوية (علم الحياتية) للتفاوت العرقي، وهكذا وجدت التصنيفات العرقية القائمة في كتاب كوفييه "مملكة الحيوان" وكتاب غوبينو "مقالة في التفاوت بين العروق الإنسانية" وكتاب روبرت نوكس "عروق الإنسان السوداء" شريكا رغوبا في الاستشراق الكامن، وإلى هذه الأفكار أضيفت أفكار داروينية من الدرجة الثانية، بدا أنها تؤكد السريان العلمي لتقسيم العروق إلى متقدمة ومتخلفة، أو أوروبية . آريه، وشرقية. أفريقية"(ادوارد سعيد، 1981.ص217). وبهذا التقسيم أمكن للغرب استهداف الأمم المستضعفة، "وضمن هذا المنظور العام ستغدو كل المسوغات العقلانية ناجزة لشن الحملات والحروب على هذه الأمم الموسومة "بغير المتحضرة"، وقد أصبحت لاحقًا، حقًّا

قانونيًّا ومطلبًا حيويًّا للدولة . الأمة الغربية-(غريغوار منصور .ب ت.ص81) لقد وجدت الإمبريالية الأوروبية ضالتها في النظريات العنصرية العرقية عندما تحولت إلى استعمار ثلاثة أرباع العالم، ومع هذه التبريرات، لم تكن تجد حرجًا في عمليات القهر والاستبداد والتطهير العرقي والقتل الجماعي للملايين من البشر، كونهم أدنى مرتبة من البشر. وفي أحسن الأحوال تعامل الاستعمار مع الشعوب بصفتهم متخلفين ثقافيًّا، امتدادًا لتخلفهم البيولوجي" لقد صارت هذه المذاهب الإيديولوجية على اختلاف تلاوينها العرقية، التي تضمنت الخطاب العلمي المسيطر والمؤسس في القرن التاسع عشر، تعني تحديدًا، خطاب الإنسان الأبيض الحضاري والراشد، وريث عصر الأنوار وصانع المستقبل، وحامل رسالة التقدم والتطور شرعًا. وتحت قيادة هذا الخطاب تم تحالف الدولة المركزية الدستورية والعلم والجيش والصناعة والكنيسة لتوزيع الأدوار، وتقاسم المهمات ضمن استراتيجية منظمة."(غريغوار منصور، ب ت.ص110)

إن إلصاق صفة مشوهة بفئة مستضعفة، أو قليلة ضمن مجتمع ما، كان دائمًا طريقة مناسبة لإيجاد كبش فداء. وقد ركزت الروايات الأوروبية عن الشرق على تلك الصفات التي تجعل من هذا الشرق، ذلك الآخر المختلف عن الغرب، و"الغير" الذي لا صلاح له. " فقد أنتج الاستعمار عن الشرق المتوسطي، ما لا ينضب من كتب الحماقات التي لا تزال حتى اليوم، تستخدم بصفتها سجلاً مرجعيًّا لكثير من الغربيين كلما تعلق الأمر بوصف العالم العربي الإسلامي، ذلك أن أوروبا القرنين التاسع عشر والعشرين صنعت أسوأ سلسلة لصور الشرق التي لا نظير لها أبدًا. ("تيبري هنش، 2005.ص284).

4-الصراع الغربي على الشرق الاسلامي:

لقد اعتبرت منطقة الشرق الأوسط شريان الحياة الرئيسي بالنسبة للعالم الغربي، ولذا فقد لعبت دورًا بارزًا في الاستراتيجية الدولية عبر السنين (يسري الجوهري.1993.ص361). وقد بدأ الاهتمام بالشرق بداية، بصفته موقعًا استراتيجيًّا، لما يتميز به من طرق مواصلات برية وبحرية، أهمها البحر الأحمر الذي يعد ملتقى ثلاث قارات، ويستمد أهميته أيضًا كونه يوفر للقوى الدولية إمكانية الوصول إلى المحيطين الهندي والأطلسي والبحر المتوسط. وبحكم موقعه الجيوسياسي، فقد شكل عنصرًا مهمًّا ومؤثرًا في مسار تاريخ هذه المناطق ومستقبلها، وما من ممر مائي كان سببًا في الصراعات بين الأمم أكثر مما كان ولا يزال عليه البحر الأحمر، ذلك أن الخواص الاستراتيجية لهذا البحر ظلت تجذب اهتمام قوى مختلفة ومتصارعة.

وحاول البرتغاليون كما الرومان بسط سيطرتهم على البحر الأحمر، وكان من دوافعهم الواضحة "بسط احتكارهم على تجارة العالم بين الهند والغرب، عن طريق البحر الأحمر"(عبد الله عبد المحسن سلطان، 1988.ص49)بعد 1520م كانت شمس البرتغال تميل إلى المغيب، بسبب المشكلات الداخلية والحروب، ثم كان ارتفاع نجم انجلترا وهولندا بصفتها قوتين بحريتين جديدتين، مع ما رافق ذلك من طرد البرتغال من الخليج العربي على يد الإنجليز عام 1622م، فقد دخلت بريطانيا المحيط الهندي بين عامي 1577م و1580م وهمها الأساسي التجارة، ثم أرسلت الحملات البريطانية إلى عدن والبحر الأحمر في محاولة للنيل من المقاومة البرتغالية والهولندية. (عبد الله السلطان، 1988.ص50)

جاء غزو نابليون لمصر في القرن الثامن عشر بمثابة تهديد للمواصلات البريطانية مع الهند، "فعندما احتلت فرنسا مصر عام 1798م، أراد نابوليون وقتئذ تنشيط تجارة البحر الأحمر في غمار منافسته مع بريطانيا، التي كانت تتاجر

مع الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح، بيد أن بريطانيا عملت بالتعاون مع العثمانيين على هزيمة فرنسا في مصر عام 1801م."(اجيه يونان جرجس، 1979.ص51)

ظلت المنافسة محتدمة بين فرنسا وبريطانيا حول الوجود والنفوذ في البحر الأحمر، وفي عام 1862م استطاعت فرنسا شراء وجودها في اوبوك (جيبوتي حاليًا) من رؤساء القبائل الصوماليين.

وخلال القرن الثامن عشر، قاتلت فرنسا وبريطانيا إحداهما الأخرى للسيطرة على الهند، من 1744م إلى 1769م، "تلك الحرب التي انتهت بسيطرة بريطانيا على شبه الجزيرة الهندية اقتصاديًا وسياسيًا، وقد كان قرنا أثر بالعلاقات البريطانية الشرقية، وشهد نقطة تحول في صورة العرب، فكون بريطانيا مدفوعة بحماية طرقها إلى الهند من جهة، ولمواجهة المضايقة والنفوذ المتزايدين من فرنسا أو محاولة إيقافه من جهة أخرى، أخذت بريطانيا تظهر مزيدًا من الاهتمام بالمشرق ولا سيما بمصر."(حلمي خضر ساري، 1988.ص32).

كان لغزو نابليون مصر سنة 1798م وحملته في سوريا أكبر النتائج في التاريخ الحديث للمشرق، فقد أدرك البريطانيون في الهند، ونابليون في مصر، أهمية استخدام المستشرقين، والاستفادة منهم لبناء الإمبراطورية، فربطوا بين المعرفة الإستشراقية وبين التسلط السياسي الصريح، وهي ما عبر عنها إدوارد سعيد بربط المعرفة بالسلطة. "وفي عام 1882م، احتلت بريطانيا مصر مخالفة بذلك معاهدتها معها في عام 1877م، كما احتلت أيضًا مينائي الصومال، زيلع وبربرة في عام 1884م ثم السودان في عام 1899م."(عبد الله عبد المحسن، 1988.ص54). أما فرنسا، فقد رسخت أقدامها على الساحل الإفريقي للبحر الأحمر وخليج عدن قرب باب المندب، بغية موازنة الوجود البريطاني في عدن.

وفي عام 1925م أكملت إيطاليا احتلال الصومال، ووقعت معاهدة مع بريطانيا في شأن الصومال البريطاني، والصومال الإيطالي، وقامت القوات البريطانية باحتلال إريتريا (1941م). "وإذ خسر الإيطاليون أريتيريا غادروا منطقة البحر الأحمر الذي قال عنه موسو ليني يومًا: إذا كان البحر الأحمر هو مجرد طريق لبريطانيا، فهو شريان الحياة لإيطاليا."(اجيه يونان جرجس، 2007.ص18) وظل البحر الأحمر تاريخيًّا بؤرة صراع.

"إن قصة العلاقة بين القوى الاستعمارية الغربية وأمم الشرق ليست فقط قصة استكشاف ثقافي وفكري تنويري، بل كثيرًا ما كانت قصة تثير الخزي، استهدفت استغلال شعوب آسيا، وتجريدهم من ممتلكاتهم، والنظر إليهم بوصفهم العنصر الأحط شأنًا قياسًا إلى الغرب، وأنهم "الآخر" النقيض وحامل الخصال السلبية"(جي جي كلارك.2007 ص18).

استمرت هذه القوالب الذهنية بالتراكم حتى القرن العشرين، القرن الذي انصبت فيه أطماع بريطانيا على الوطن العربي، فكان للرحالة والعلماء والمبشرين والوكلاء تأثير كبير، فاستغلت وسائل الاتصال والإعلام الصور القديمة التي يحملها البريطانيون عن العرب وروجتها، وكان من أكثر الكتابات تأثير في مصادر الإعلام كتابات توماس إدوارد لورنس الملقب بلورنس العرب (1888م . 1935م)، الذي يعد من أشهر شخصيات الربع الأول من القرن العشرين، أمضى سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى متجولاً في الوطن العربي، ليتعرف على عادات العرب ولغتهم وأعرافهم، وهو يرتدي ملابسهم ويدرس تاريخهم، ويتجسس على الأتراك والألمان في المنطقة. وقد تحدثت العديد من الأدبيات العربية والغربية على حد سواء عن إنجازاته وبطولاته ودوره في توحيد العرب وقيام الثورة العربية ضد السيطرة العثمانية، "على أن لورنس الذي بدا وكأنه يرمز إلى العلاقة المثالية بين بريطانيا والعرب لا يمكن أن يفهم أو يقوم بمعزل عن دوره بصفته وكيلاً إمبرياليّا."(حلمي

خضر ساري .1999.ص56) ، فقد كشف في كتابه "أعمدة الحكمة السبعة" عن حقد وكراهية للعرب والمسلمين ولتاريخهم، ونظر إليهم بوصفهم متخلفين كسالى، فضلاً عن مقالاته المتعددة، وأخطائه التاريخية، وأبرز ما يؤكد ذلك قوله بالنص: "إنهم أناس ضيقوا ومحدودو التفكير، حيث إن ذكاءهم الجامد يرتاح باستسلام غير مبال وأن خيالاتهم نشيطة لكنها غير مبدعة."(توماس ادوارد لورانس.1998 ص29) كما ظهر دوره بصفته وكيلاً إمبرياليّا في قوله: "الحكومة البريطانية التي حثت العرب على القتال من أجلنا، كانت مقابل وعود محدودة لإنشاء دولة عربية مستقلة بعد انتهاء الحرب، والعرب يثقون بالأشخاص، وليس بالمؤسسات، فهم رأوا فيَّ عميلاً حرًّا للحكومة البريطانية، وطلبوا مني العمل على تطبيق تلك الوعود المكتوبة من قبل الحكومة، لذلك فقد كان عليَّ أن أنضم للمؤامرة، وأن أقوم بإعطاء تأكيدات كلامية للرجال بأنهم يستحقون مكافئتهم، وخلال سنتين من العمل المشترك في ظل المعارك المستمرة، فقد اعتادوا تصديقي (..) كان واضحًا منذ البداية أنه في حال كسبنا للحرب، فإن هذه الوعود ستكون عبارة عن ورقة ميتة (..) وأنه كان من الأفضل أن نكسب الحرب، وننقض تعهداتنا، بدلاً من أن نخسرها."(توماس ادوارد لورنس.1998.ص13)

مع بداية القرن العشرين بدأ التحول إلى استخدام النفط بدل الفحم، وأصبح النفط سلعة استراتيجية للبريطانيين، واحتاجوا إليه لقوتهم البحرية، ولم يكن لديهم مصدر آخر، فالأمريكيون والروس كان لديهم مصادر النفط الخاصة بهم، لذا أصبح النفط للبريطانيين ومن بعدهم الفرنسيين موردًا استراتيجيا يجب الوصول إليه وحمايته.

خلال الحرب العالمية الأولى شكلت آبار النفط القوة الحقيقية للولايات المتحدة الأمريكية، كانت هي المنتج الأكبر للنفط في تلك الأثناء. مثل إنتاجها عونا كبيرا

للحلفاء، في مقابل منعهم ألمانيا من الوصول إلى حقول النفط الرومانية، فبدأت الصناعة الألمانية تعاني نقصًا في الوقود وزيوت التشحيم.

في 11 نوفمبر 1918م، استسلمت ألمانيا عندما لم يعد لدى جيشها من الوقود ما يكفيهم ليوم واحد فقد "أدت الحرب العالمية الأولى إلى التركيز على أهمية النفط في العصر الجديد لوسائل المواصلات الآلية، وكثفت البحث عن المخزونات النفطية في الشرق الأوسط."(هاري سانت جون فيلبي.2001.ص15)

عندما اكتشف نفط الخليج عقب الحرب العالمية الأولى، عملت الحكومة البريطانية على توقيع اتفاقيات مع حكام الخليج بإعطاء حق امتياز التنقيب عن النفط في أراضيهم إلى شركة بريطانية، وهكذا أعطي للبريطانيين القدرة على التحكم في نفط الخليج" وكان لديهم امتياز التنقيب لستين عامًا. وفي عام 1909م كانوا يحفرون وينتجون ويصدرون، كما بدؤوا بعض عمليات التكرير.» (هاري سانت جون فيلبي.2001.ص32).

ساد الهلع لدى الأمريكيين عام 1919 م بسبب تقديرات حكومية أفادت بأن الاحتياطات النفطية الأمريكية قابلة للنفاذ خلال عشر سنوات، وواجهت إدارة الرئيس ويلسون الاتهام بأنها لم تضع أي سياسة نفطية قومية، فبدأت مشاحنات من نوع جديد. لم تهتم الشركة البريطانية كثيرا بالتنقيب عن النفط في البحرين، لذلك سمحوا للأمريكيين بالدخول إلى البحرين، ثم الكويت وأخيرا السعودية، وبذلك بدأ توطيد الأمريكيين في الشرق، "لقد كان النفط ولعقود من الزمن، وراء السياسة الخارجية والأمنية، لقد كان الباعث من وراء فكرة تقسيم الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الأولى، والمحفز الذي دفع ألمانيا واليابان إلى التفكير بالتوسع خارج حدودهما، والدافع وراء حظر النفط العربي، ووراء الحرب العراقية الإيرانية، وحرب الخليج، هذا كله واضح." (ريتشارد هاينبرغ.2002.ص75)

ويعكس الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون في كتابه "اقتناص اللحظة "صورة بشعة عن العالم الإسلامي عندما يقول: "إن معظم الأمريكيين ينظرون نظرة موحدة إلى المسلمين على أنهم غير متحضرين، وسخين، برابرة، غير عقلانيين، لا يستوعبون انتباهنا إلا لأن الحظ حالف بعض قادتهم، وأصبحوا حكامًا على مناطق تحتوي على ثلثي الاحتياطي العالمي المعروف من النفط."(Richard Nixon.1992.p194)

وفي كتاب "تاريخ فارس"وهوأحد مؤلفات سير جون مالكولم الضابط البريطاني، وضع خطة لاستعمار منطقة الخليج العربي، تتلخص المبادئ الأساسية لهذه الخطة في النظر إلى إمارات الخليج، الدولة العثمانية، وجزيرة العرب، لا بصفتها حكومات حقيقية، بل بصفتها بلدانًا يمكن لأي أمة أن تتعامل معها بما يخدم مصالحها وأهدافها.

وفي ذلك يرى المسيري أن الغرب "عرف مصلحته الاستراتيجية منذ بداية القرن التاسع عشر بطريقة تجعله ينظر للمنطقة العربية بصفتها مصدرًا هائلاً للمواد الخام (الرخيصة)، ومجالاً خصبًا للاستثمارات الهائلة (التي تعود عليه وحده بالربح)، وسوقًا عظيمة لسلعه (التي ينتجها ويصرفها فيزداد هو ثراء)، أو قاعدة استراتيجية شديدة الخطورة والأهمية (بالنسبة لأمنه هو)، إن لم يتحكم فيها قامت قوى معادية (مثل الاتحاد السوفييتي في الماضي) باستخدامها ضده)".(عبد الوهاب المسيري.2005).

إن الخطاب الذي يجعل من الأخذ بيد الأمم المحرومة أو إسعافها واجبًا أخلاقيًّا، ويقوم بتصنيف البشر وتأكيد التفاوت بين الشعوب، لم يتبلور إلا انطلاقًا من أطماع اقتصادية ومصالح سياسية بحتة، بحثًا عن أسواق جديدة، وثروات طبيعية ومواقع استراتيجية. وسواء كان الغرض تبرير الدوافع الدينية، أو تسويغ الأطماع والمصالح السياسية، فقد اختزلت جميع العلاقات المعقدة في العالم العربي

الإسلامي، وكل ما في حضارته من ثراء، إلى مجموعة جاهزة من القوالب الجاهزة والمشوهة لهذه الحضارة.

5. خاتمة

توصلنا من خلال هذه الدراسة الى ان الغرب يتبنى صورا نمطية عن الإسلام والمسلمين بهدف تشويههم. ويعود ذلك الى صراع الحضارات والاختلافات الثقافية بين الشعوب والحروب التاريخية بين الغرب والعالم الإسلامي مما ولد النظرة الدونية للغرب تجاه المسلمين. ويمكن تسجيل النتائج التالية:

-ان الغرب يقدم صورا نمطية عن الإسلام والمسلمين لا تمت بصلة الى الواقع.

-يسعى الغرب جاهدا الى تشويه صورة الإسلام والمسلمين من خلال توظيف ترسانته الإعلامية والفكرية.

-يتأكد لنا الحقد التاريخي الدفين لدى الغرب تجاه كل ما هو إسلامي سواء من خلال الحروب الصليبية قديما او من خلال الحروب الإعلامية في الوقت الراهن.

يتعين على جميع البلدان الإسلامية التجنيد لمجابهة هذه الحملة الشرسة القديمة والمتجددة بمختلف الوسائل وبخاصة على المستوى الفكري والإعلامي.

ضع في خاتمة البحث تلخيصا لما ورد في مضمون البحث، مع الإشارة إلى أبرز النتائج المتوصل إليها، وتقديم اقتراحات ذات الصلة بموضوع البحث.

6. قائمة المراجع:

-Theodore Roosevelt(1896) the wining of the West, New York.

-أجيه يونان جرجس(1979) البحر الأحمر ومضايقة بين الحق العربي والصراع العالمي، القاهرة، مكتبة غريب.

-إدوارد سعيد(1981) الاستشراق، المعرفة الإنشاء السلطة. ترجمة كمال أبو ديب، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.

-برتراند راسل، المجتمع البشري في الأخلاق السياسية، ترجمة عبد الكريم أحمد، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

-تيبري هنتش (2005) الشرق المتخيل، رؤية الغرب إلى الشرق المتوسطي. ترجمة غازي برو.خليل أحمد خليل. القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة ودار الفارابي.

-توماس إدوارد لورنس(1998) أعمدة الحكمة السبعة، ترجمة محمد نجار، الأهلية للنشر والتوزيع.

- جوكينشلو وشيرلي شتاينبرغ(2005) التربية الخاطئة للغرب، كيف يشوه الإعلام الغربي صورة الإسلام، ترجمة حسان بستاني، دار الساقي.

- جي جي كلارك(2007) التنوير الآتي من الشرق، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون

-ريتشارد هاينبرغ(2005) سراب النفط، النفط والحرب ومصير المجتمعات الصناعية، ترجمة انطوان عبد الله، الدار العربية للعلوم.
-عبد الله عبد المحسن السلطان(1988) البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية.
-عبد المتعال محمد الجبري، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري. القاهرة. مكتبة الانجلو المصرية.
-عبد الوهاب بوحديبة(1985) الحياة الاجتماعية الإسلامية كما صورها بعض المستشرقين، في: مناهج المستشرقين والدراسات العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس
-عبد الوهاب المسيري(2002) العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، ط1
----(2000) العلمانية تحت المجهر، حوارات لقرن جديد، سورية. دار الفكر.
----- (2005) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموسوعة الموجزة، دار الشروق،
-علي عزت بيجوفيتش(1994) الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة محمد يوسف عدس، بيروت. مؤسسة العلم الحديث.
- غريغوار منصور مرشو. (1996) مقدمات الاستتباع الشرق موجود بغير لا بذاته، المعهد العالمي للفكر الإسلام
-------(2001) نحن والآخر، دار الفكر المعاصر، ط1
-----(1996) مقدمات الاستتباع، الشرق موجود بغيره لا بذاته، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
-محمد نجيب بوطالب(1999) العلوم الاجتماعية والاستشراق، في: صورة الآخر العربي ناظر ومنظور إليه، مركز دراسات الوحدة العربية.

عنوان المقال: (الخط: Sakkal Majalla، حجم الخط غليظ 13)

-هاري سانت جون فيلبي(2001) مغامرات النفط العربي، ترجمة عرض البادي، الرياض. مكتبة العبيكان.

.

-يسري الجوهري(1996) الجغرافيا السياسية والمشكلات العالمية، عمان. مؤسسة شباب الجامعة.

ملاحظة هامة:

يجب ألا يتجاوز البحث 20 صفحة كحد أقصى، وأن لا يقل على 15 صفحة كحد أدنى، على مقاس ورق (24*16)، 2 من كل الجهات.